بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

مخبر بحث العلوم الإسلامية في الجزائر بالتنسيق مع قسم اللغة والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني:

القضية الفلسطينية: جذور الصراع،

بين إكراهات الواقع وآمال التحرر.

تاريخ انعقاد الملتقى: 2025/11/11

بقاعة المناقشات بكلية العلوم الإسلامية

عنوان المداخلة:

طوفان الأقصى والمثقف العربي : المقاربة الإئتمانية للصراع الإسلامي الإسرائيلي في فكر طه عبد الرحمن.

د/ زين الدين لشخب

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

مقدمة

إن حالة الفتور التي شهده الصراع الإسلامي الإسرائيلي قبل معركة طوفان الأقصى قد صرف العالم بصفة عامة، وكجزء منه العالم العربي والإسلامي عن الشعور بالارتباط بهذا الصراع، وأنه ليس شأنا فلسطينيا كما يراد ان يسوّق له في الدوائر الإعلامية، وذلك من خلال جملة الوسائل الدعائية التي مارسها الإعلام الغربي بغية صرف نظر العالم عن معاناة الشعب الفلسطيني، وتصوير أساليب المقاومة في صورة الإرهاب والتطرّف، وقد ساعدت الكثير من دوائر الإعلام في العالم العربي على دعم هذا التصور، وذلك من خلال إعادة تدوير المصطلحات التي يطرحها الإعلام الأمريكي والأوروبي قصد تزييف الحقائق ودعم الرواية التي يسوق لها الإعلام الإسرائيلي.

لقد برز طوفان الأقصى متصدرا المشهد الإعلامي ليعيد إلى الواجهة قضية فلسطين، ورغم أن هذه الأحداث الدامية تدور رحاها في إقليم قطاع غزة إلا أنها اختارت الأقصى شعارا لها، لتبقي له لهذا المسجد مركزيته في الصراع، فالقضية أكبر من كونها قضية أرض مغصوبة، بل هو صراع إرادات، إرادة شر تريد فرض منطقها بالقهر والغلبة، وإرادة خير تسعى إلى استجلاب حق مسلوب، وتستنهض أثناء ذلك مجدا لأمة الأصل فيها أنها : "**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**"[1]، لتؤدي بعد ذلك شهودها الحضاري بما يحقق بعد ذلك خير لها و للبشرية جمعاء.

1- طوفان الأقصى وأزمة النخبة في العالم الإسلامي:

إن من أهم الأسئلة التي إعيد طرحها بعد طوفان الأقصى وما أعقبه من أحداث دامية في العالم هو سؤال دور النخب المثقفة في التغيير الذي ينشده هذا الطوفان، خاصة أن النخب قد حوصرت في ظل الإعلام الجديد في أروقة الجامعات ورفوف الكتب بعيدا عن تطلعات الشعوب، وفقدت الكثير من فاعليتها في الحشد والتأثير، وجمع الناس على قضايا الأمة وهمومها.

ومما زاد من غربة المثقف في هذا العصر وبعده عن قضايا أمته هي تلك الحالة من هيمنة العصر الرقمي الذي أزاح المثقف من كل دوائر الفعل الاجتماعي وفرض نوعا من الهيمنة الرقمية والتي زادت من حالة الاستلاب لدى المثقف خاصة في العالم العربي والإسلامي، فقد فرضت الخوارزميات هيمنتها على البنية الاجتماعية، وأحدثت تحولات عميقة في بنية الفرد والمجتمع على حد سواء،[2] ولا يخفى على الناظر وتيرة التسارع التي تسير بها هذه التحولات في واقع الناس اليوم، والتي من الصعب مواكبتها أو مسايرتها فضلا عن احتوائها والتحكم فيها وتوجيهها التوجيه الصحيح. ولعل ما زاد هذه الأزمة عمقا هو سير الكثير من هذه

---

[1] - آل عمرن: 110.

[2] - المصطفى شوكري، غروب دور المثقف وشروق الاستلاب الرقمي سوسيولوجيا التحولات من التفاعل الاجتماعي الحر إلى الهيمنة الخوارزمية، مجلة الباحث للراسات، الرباط، المغرب، أوت 2025م، ص 23.

النخبة ضمن مسارات معاكسة لمسار الطوفان ابتداء من خلال تبرير التطبيع الذي تقوم به الحكومات، يقابله شيطنة لكل أساليب المقاومة والممانعة بحجة عدم جاهزية الأمة.

إن كل هذه المبررات وغيرها زاد وسّع الهوة بين الشعوب والنخب المثقفة التي صار همها في التموقع والتمركز في مواطن صناعة القرار في العالم العربي والإسلامي على حساب تطلعات الشعوب في إحداث تحوّل يعيد للأمة وحدتها ومجدها، وبذلك فقد الكثير من المثقفين في العالم العربي والإسلامي ارتباطهم بالجماهير التي تعطي قوة لمعرفتهم ومشاريعهم، ويصف ذلك إدوارد سعيد قائلا: "أن المثقف الحق يتفاعل مع أوسع جمهور ممكن أي إنه يتوجّه إليه (ولا يستهجنه) فهذا الجمهور الواسع هو السند الطبيعي الذي يستمد منه المثقف قوته" [3]، بالإضافة إلى ذلك فإن الحسابات الإيديولوجية والتعصب المذموم للحدود القطرية أوقع الكثير منهم ضمن ما يسميه جوليان بيندا "خيانة المثقفين"[4] التي أحالته بعد ذلك إلى حالة من التقاعس والركون فيصير بذلك علمه وثقافته حجة عليه لا له.

ولكن هذا الحال الذي عرضناه سابقا ليس قاعدة خالية من الاستثناء، فالكثير من النخب في العالم الإسلامي حاولت أن تقدم رؤى وأفكارا في مستوى حدث بقيمة السابع من اكتوبر، واختلفت المقاربات التي تحلل مشهد الطوفان وتحاول أن تقيس جوانب تأثيره؛ ليس فقط على صعيد السياسة الدولية وموازين القوى، بل من خلال الوقوف على جوانب تأثيره على مستوى النظرة إلى الذات المسلمة، والنظرة إلى الآخر، وأعادت هذه النخب قراءة مشهد طوفان الأقصى وفق آليات قراءة تحيل إلى أسئلة قيمية وفلسفية أعمق وأعقد ينقلب التحليل السياسي للمشهد قاصرا عن الوفاء بالبيان.

ويمكن أن نقدّم رصدا عاما للصور التي تمظهر فيها تفاعل المثقف العربي مع أحداث طوفان الأقصى من خلال مايلي:

- **المسار الإعلامي:** ويتمثل في بروز المثقف العربي في مؤسسات الإعلام التقليدية مثل الفضائيات والإذاعات أو الإعلام الجديد، وقد رافع من خلالها المثقف العربي عن مشروعية المقاومة وجدواها في وجه حملات التشكيك والتشويه، وذلك انطلاقا من تأصيلات شرعية كما هو الحال مع الشيخ محمد الحسن ولد الددو، او فكرية كما هو حال الكثير من المفكرين الشباب مثل : علي نايف نهار وغيره.
- **المسار المؤسساتي:** وذلك من خلال الانتظام المثقف العربي ضمن مؤسسات بحثية ومراكز دراسات لتقديم رؤى واستقطاب نخب أخرى بغية العمل المشترك، ومن المراكز التي أبدت تفاعلا لافتا مع أحداث طوفان الأقصى نجد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الذي يترأسه الدكتور عزمي بشارة وينتظم في عضويته جملة من الباحثين،

---

[3]- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2005م، ص 23.

[4] - كتاب "خيانة المثقفين" واحدٌ من أهمِّ الكتب التأسيسية، التي تناولت دور المثقف وأهميته في محيطة الاجتماعي، وخطورة تقاعسه عن هذا الدور الطليعي، وركونه إلى الدعة والحياة الباذخة، التي تتعالى عن الاهتمام والانخراط في قضايا الشأن العام، التي تتمحور حولها حياة الناس ومشكلاتهم (انظر: جوليان بيندا، خيانة المثقفين، دار ابن النديم للنشروالتوزيع، ط1، وهران، الجزائر، 2020م، ص9.)

وعلى الرغم من الخلفية اليسارية التي يتبناها الكثير من رواد هذا المركز إلا أنه حاول أن يقدم قدر الإمكان قراءات واستشرافات لواقع الحال في الشرق الأوسط قبل وبعد الطوفان.

- **مسار الكتابة والتأليف:** ونقصد بهذا المسار ذلك المفكر الذي يجعل من قضية فلسطين جزءا من مشروعه الفكري أو المعرفي، ولا يخفى على القارئ وجود أسماء لامعة في هذا المسار من أمثال عبد الوهاب المسيري وإسماعيل راجي الفاروقي وإدوارد سعيد، ومن آأهم الذين بروزا على الساحة الفكرية في العقود الماضية نجد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن خاصة في كتاباته الأخيرة التي صارت تقترب أكثر فأكثر من قضايا الأمة وتطلعاتها.

وإذا كان اهتمام الكثير من النخب بقضية فلسطين ضمن مشاريعهم الفكرية بحكم قربهم من أحداث الصراع كما هو الحال مع المسيري الذي يعد اهتمامه بالقضية الفلسطينة توجّها بحثيا، أو كما نجده عند الباحثين ذوي الأصول الفلسطينية مثل إدوارد سعيد. لكن اهتمام طه عبد الرحمن بقضية فلسطين خاصة في الآونة الأخيرة كان في وقت شهدت بلاده سيرا تدريجيا نحو التطبيع مع العدو الإسرائيلي، وفي نفس الوقت فإن مشروعه الفكري قد استقطب اهتماما واسعا كان من الممكن أن لا يجعله في غنى عن قضية فلسطين لما يمكن أن تحمله من جدل ولغط يشوش على مشروعه الفكري، ولكنه لم يجد مع كل ذلك حرجا في أن يقدّم تصوره حول القضية بشجاعة ومسؤولية.

2- **ثغور المرابطة والمقاربة الإئتمانية:**

يظهر طه عبد الرحمن في مستهل كتابه وعيه بخصوصية التحليل الذي يقدّمه لصراعات الأمة الحالية فهو يفرق بين التحليل السياسي للأحداث والتحليل التأملي الفلسفي حين يقول: "ومثل هذه القضايا الكيانية توجب تقديم النظر الفلسفي على التحليل السياسي، فواجب الفيلسوف أن يسابق إلى الاشتغال بها، حتى لا تهلك الأمم الإنسانية بما كسبت أيديها"[5] وبهذا يؤكد طه عبد الرحمن أن الخوض في هذا الموضوع ليس خاضعا لادبولوجيا بقدر ما هو استشعار لمسؤولية المثقف في الدفاع عن أمته ابتداء، والمساهمة في الحفاظ على القيم الإنسانية التي تضمن لها الوجود والاستمرار.

ومن أجل أن يبيّن خصوصية مسلكه في التناول الفلسفي لقضايا الأمة يؤكد طه عبد الرحمن أن تحليله يقوم بالأساس على التأمل الفلسفي، وذلك بخلاف التناول الفلسفي المعاصر لقضايا الأمة القائم على الانعطاف عن التأمل الفلسفي والاعتماد الدراسات السياسية والاجتماعية والإناسية والإثنية، وبذلك غاب عن تحليلاتهم فعل النقد والتمحيص، وعلى هذا الأساس يحاول طه عبد الرحمن أن يقدم تأملا فلسفيا قائما على أصالة في الطرح وجدة في العرض من خلال فكرة المرابطة، معتمدا في ذلك مقاربة فلسفية تأملية أسسها بنفسه وأرسى دعائمها تحت اسم: الائتمانية، والتي ظهرت بصورة لافتة في أعماله الأخيرة,

[5] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، مركز مغارب، ط1، الرباط، المغرب، 2018م، ص 11.

أ- **مفهوم المرابطة عند طه عبد الرحمن:**

يمثل طه عبد الرحمن نموذجا للمثقف العضوي الذي يتفاعل مع قضايا أمته من دون مداهنة وتردد، ويبدو هذا واضحا وجليا في كل كتاباته خاصة فيما تعلّق بالقضايا الكلية التي ترتبط بحاضر العالم الإسلامي أو تراثه وتاريخه، وهو ما يمكن عده أحد أسباب الجذب والاستقطاب الذي تتميز بها كتاباته للنخب المثقفة في العالم العربي والإسلامي بصورة قل نظيرها في المشرق والمغرب العربي على حد سواء، وكثيرا ما يعقب صدور مؤلفاته مدارسات حول ما يطرحه من أفكار قبولا وردا، أو تأييدا ورفضا من الموالين أو المخالفين.

ولعل من أبرز سمات مشروع طه عبد الرحمن هي تلك القدرة على نحت المصطلحات التي تصف التيارات الفكرية والرؤى الفلسفية، والتي سرعان ما يتم تداولها في دوائر البحث على أنها مقابلات مصطلحية لمفاهيم غربية أو متعلقة بالثقافة العربية والإسلامية، ومثال على ذلك التوصيف الذي قدّمه لهذا التدافع تحت إطلاق "ثغور المرابطة" الذي اختاره العنوان العريض لكتابه، والذي سرعان ما انتشر وتبنته [6] النخب العاملة في قضية فلسطين والمسجد الأقصى والتي كان لها حضورها وتفاعلها مع أحداث السابع من أكتوبر.

ويبين "طه عبد الرحمن" السر الكامن وراء هذه التسمية النابعة من الخلفية الإسلامية أي مفهوم المرابطة عند حديثه عن المثقف المرابط في قوله: " أما مرابطة المثقف الإئتماني فهي عبارة عن ملازمة والملازمة رتبة فوق الإلتزام ... وتوضيح ذلك من وجوه أحدها أن الملازمة اختيار ، إذ تستند إلى الإنسان بكونه الحامل للأمانة اختيارا لا اضطرارا، فيكون المثقف المرابط قد اختار الملازمة باختياره الأمانة" [7] وعلى هذا الأساس فإن مفهوم المرابطة لا تخرج عن المفهوم الإسلامي الأصيل لها وهو ملازمة الثغر استشعارا للمسؤولية الشرعية التي يتحملها الإنسان وفقا لمقتضى الأمانة.

ب- المقاربة الإئتمانية عند طه عبد الرحمن:

إن فكرة الائتمانية التي اعتمدها طه عبد الرحمن المقاربة الأساسية لتحليله الفلسفي تعد مقاربة أصيلة طبعت العديد من أعماله السابقة واللاحقة، وكان أول استعمال لها في "كتابه روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإئتمانية" الذي برهن من

---

[6] - خذ على سبيل المثال أن العنوان نفسه قد اعتمدته مؤسسة أمناء الأقصى للدعاة وخريجي الشريعة للأحاديث النبوية المختارة تحت عنوان: الأربعون في ثغور المرابطة، (انظر : محمد علي بيود، الأربعون في ثغور المرابطة ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، من رواية يحي الغوثاني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، دمشق، سوريا، 2024م.)

[7] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 202.

خلاله على حقيقة الوجود الإئتماني[8] ثم تواتر حضور هذه المقاربة في أعمال طه عبد الرحمن، ويمكن أن نميّز استعمال هذه المقاربة في مشروع طه عبد الرحمن في أغراض ثلاثة:

- **نقد الحداثة الغربية:** ويظهر ذلك من خلال اعتبار الائتمانية رؤية أوسع وأرحب من العلمانية، ويظهر هذا الاستعمال في كتابه "روح الدين" وكتاب "بؤس الدهرانية".
- **التأسيس الإئتماني للعلوم الإسلامية:** ويظهر ذلك من خلال محاولة طه عبد الرحمن تقديم رؤية مخالفة تتأسس عليها العلوم الإسلامية بناء على الرؤية الأخلاقية القيمية، ويظهر هذا الأمر عند طه عبد الرحمن في كتابه: " دين الحياء: من الفقه الإئتماري إلى الفقه الإئتماني" وفي أجزاء الكتاب الثلاثة بين : أصول النظر الإئتماني ، التحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والاتصال ، روح الحجاب، كما يظهر هذا الاستعمال الائتماني في كتابه : التأسيس الإئتماني لعلم المقاصد.
- **الرؤية الإئتمانية لصراعات الأمة الحالية:** ويظهر ذلك في العنوان الفرعي لكتاب ثغور المرابطة الذي أراد من خلالها طه عبد الرحمن إسقاط الرؤية الإئتمانية على قضايا العالم الإسلامي في الوقت الحاضر.

والملاحظ أن طه عبد الرحمن يعيد صياغة مفهوم للإئتمانية بما يتناسب مع استعماله لها في كل مرة، وقد حرص في كتابه "ثغور المرابطة على اعطاء مفهوم لها بصورة توضح المراد من تبنيها في معالجة قضايا الأمة، ومن المعلوم أن قضية فلسطين الإسلامية تعد قضية مركزية، وهو التصور الذي يتبناه طه عبد الرحمن ويدافع عنه في هذا الكتاب ، وينطلق طه عبد الرحمن في تأسيس مفهوم الإئتمانية من حقيقة قرآنية مفادها أن الإنسان فطر على الدين فقد أقر القرين ذلك بجلاء في قوله تعالى: "**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** "[9] ومن ينكر هذه الحقيقة فهو ينكر خلقه بالضرورة.

وعلى أساس هذه المسلمة القرآنية يقدّم "طه عبد الرحمن " تعريفا للإئتمانية بقوله: "النظرية الإئتمانية عبارة عن نظرية أخلاقية تتأسس على حقائق الإنسان التي اشتركت فيها الأديان وتوارثتها الحضارات، سواء أقرت هذه الحضارات بأصولها الدينية أو أنكرت هذه الأصول"[10]، ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نميّز أهم سمات هذه النظرية :

- أولا: أنها تعيد للدين مركزيته في تحديد رؤية وتصور الإنسان للعالم ولا شك أن هذه النظرة يراد لها أن لاتكون حاضرة في تصوّر المجتمعات، بما في ذلك المجتمعات الإسلامية لحقيقة الوجود والصراع.

---

[8] - طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإئتمانية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2012م ، ص 495.

[9] - سورة الروم : 30.

[10] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 12.

- ثانيا: تتأسس النظرية الإئتمانية على الرؤية الأخلاقية المبنية على القيمة؛ وهي ذات الرؤية التي تريد الرؤية العلمانية للعالم أن تغطي عليها، والحقيقة التي تريد أن تغيبها أو تقلل من أهميتها.
- ثالثا: شمولية الرؤية الإئتمانية لكل البشر على امتداد التاريخ والجغرافيا من خلال ما بينه القرآن من عرض للأمانة على الإنسان وأخذ للميثاق من الأمم والأقوام.

ومن هذا المنطلق فإن الرؤية الإئتمانية لقضايا الأمة يجعلها تنتظم في رباط جامع وتصور موحد، فلا تتشتت بعد ذلك جهود الأمة في القضايا الجزئية والفرعية؛ بل تركّز بالأساس على أن تنتظم جميع جهودها في خدمة القضايا الكلية، ومما لا شك فيه فإن الصراع الإسلامي الإسرائيلي يعد أحد القضايا الراهنة التي ينبغي أن تنصرف إليها همم الجماعات والأفراد على حد سواء وفق مبدأ المرابطة الدائمة على هذا الثغر، وذلك خدمة للأمة بالدرجة الأولى؛ وحماية للإنسانية من طغيان النموذج الصهيوني المتفوق إقتصاديا وعسكريا والسافل أخلاقيا وقيميا، وقد ظهر هذا السفول والترديّ بجلاء للعالم في معركة طوفان الأقصى وما نجم عنها من ردود أفعال في العالم.

3- القراءة الإئتمانية للصراع الإسلامي الإسرائيلي:

من المعلوم أن دراسات قراءة طه عبد الرحمن لمشهد الصراع قائم على فكرة النموذج أو البراديغم ، وفي هذا الصراع نجد إنسان المصلحة المغتصب للأرض في وجه إنسان القيمة الذي يسعى لاسترجاع هذا الحق المسلوب وفق الوسائل التي لا تفقده القيم التي يدافع عنها، وجوهر هذا الصراع هو ذلك التدافع الذي لولاه لفسدت الأرض كما نص على ذلك القرآن الكريم : " **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**" [11]، إذ إن حضور النموذجين معا ضروري لاستمرار الحياة الدنيا، وعلى هذا الأساس يقدم "طه عبد الرحمن" قراءة إئتمانية للمشهد قوامها إسلامية الصراع وإئتمانية المرابطة المقدسية.

أ- صراع إسلامي لا عربي:

إن الشائع في التسمية المعاصرة أن يسمّى هذا الصراع الدائر في الشرق الأوسط بالصراع العربي الإسرائيلي[12]، وهي التسمية الأكثر حضورا في الإعلام العربي وضمن حقل الدراسات السياسية والاستراتيجية، ومن الغريب أن نجد باحثا فذا مثل المسيري يقر هذا التوصيف حيث يقول على سبيل المثال: "والظاهرة الصهيونية - كما أسلفنا- ظاهرة استعمارية استيطانية احلالية، ومقاومة العرب لها لا تختلف عن مقاومة الشعوب المقهورة للمستوطنين الغزاة، وعناصر الأزمة السابقة هي عناصر نشأت في داخل التجمّع الصهيوني، ولكن التحدي الأكبر الذي يواجه هذا التجمع هو المسألة الفلسطينية"[13]، وعلى الرغم من مستوى

---

[11] - البقرة الآية 251.

[12] - انظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب بيدرو بربيجر: الصراع العربي الإسرائيلي مئة سؤال وجواب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2014.

[13] - عبد الوهاب المسيري، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003م، ص184.

الوعي المسيري بحقيقة الصراع وتاريخه وارتباطه بالإسلام إلا أنه آثر أن يساير التسمية السائدة في الإعلام في العالم العربي والإسلامي، وإن كان لهذه التسمية ما يبررها قبل اتفاقيات السلام التي أبرمتها الدول العربية مع إسرائيل عقب أحداث النكبة فإنه لا مبرر لها في الواقع المعاصر خاصة بعد دخول عناصر من غير العرب كفواعل في هذا الصراع بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

في حين نجد أن طه عبد الرحمن يصر على أن هذا الصراع لا بد أن يسمى صراعا إسلاميا إسرائيليا حين يقول: "أن صفة العربي تخرج من هذا الصراع غير العرب من المسلمين وفي هذا تجن عليهم، إذ ما فتئوا ينكرون أعمال الاحتلال والاستيطان لا بقصد مساندتهم للعرب في المطالبة بأرضهم فحسب، بل أيضا بقصد التعبير عن نسبة هذه الأرض المقدسة إليهم"[14]، وهذا الطرح ليس غريبا عنه إذ من عادة طه عبد الرحمن أن يدقق في المصطلحات قبل استعمالها قصد إيصال الفهم الصحيح للقارئ، بل نجد طه عبد الرحمن يدعو إلى إدخال المسيحيين العرب تحت هذه التسمية لأنهم ينتمون ثقافيا إلى حضارة الإسلام خاصة في ظل حاجتنا اليوم إلى توسيع دائرة الصراع، ولذلك فهو يرى ان كلمة الصراع إسلامي هي الأكثر ملائمة لهذا التوسيع، لأن دلالتها أوسع من دلالة كلمة الصراع العربي.

ويذهب "طه عبد الرحمن" أبعد من ذلك في توسيع دلالة هذا المصطلح ليكون مرادفا للصراع الإنساني الإسرائيلي حين يقول: "وصفة إسلامي تحقق قدرا معتبرا من هذا التوسيع، لا سيما إذا صرفت من الدلالة على دين مخصوص إلى الدلالة الواسعة على "إسلام الوجه لله" بحيث تشمل أي فرد مؤمن أيا كان دينه؛ ولولا مخافة سوء الفهم لكنت قد أطلقت على هذا الصراع اسم "الصراع الإنساني الإسرائيلي فلو أمكن توسيع مدلول هذا الصراع، بحيث يندرج فيه كل أحرار العالم"[15] والملاحظ على هذا الطرح الطهائي أنه كان سابقا لزمانه ، وقد صدّقته الكثير من الأحداث والمواقف التي رافقت طوفان الأقصى، ففي الوقت الذي كانت فيه موجة التطبيع تنتشر في دول العالم العربي، كان أحرار العالم يسجلون مواقف بطولية في وجه القوة الصهيونية المدعومة دعما غير مشروط من الإدارة الأمريكية، والمواقف الثابتة لدول أمريكا اللاتينية وكذا دولة جنوب إفريقيا أكبر دليل على صحة هذا الأمر التي بينه.

ب- جوانب الإيذاء الإسرائيلي ووسائله :

ينطلق تصور طه عبد الرحمن للصراع الإسلامي الإسرائيلي من خصوصية الإنسان الفلسطيني الذي لا يمكن أن تفهم إلا ضمن المقاربة الإئتمانية بالأساس، كما أن الإيذاء التعدي الإسرائيلي لا بد أن يقرأ في ظل هذه المقاربة، إذ يقوم هذا الإيذاء على جانبين:

---

[14] طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 12.

[15] - طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص13.

- إيذاء الأرض التي بارك فيها ربها ومؤداه إيذاء الإله؛ ولكن ذلك لا بد أن لا يفهم على الفهم الظاهر المعروف عند الناس بل الفهم القرآني المتضمن في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا" [16] وإلا فإن حقيقة ابتغاء الأذى لا تصيب إلا الإنسان المتسبب في الأذى بنص القرآن الكريم : **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** " [17]
- إيذاء الإرث الذي أنتجته فطرتهم اي إيذاء الإنسان الذي أنتج هذا الإرث ، وعلى هذا الأساس فإن مسألة الإله ومسالة الإنسان لا تعنيان الفلسطين وحدهم وإنما تعنيان الناس كافة، وعلى هذا الآساس وجب على غير الفلسطيني أن يشتغل اشتغال الفلسطيني بدفع الأذى الإسرائيلي الذي لحق الإله وفق التصور الذي تقدّمه آيات القرآن الكريم، والأذى الذي لحق الإنسان الفلسطيني من حيث هو إنسان[18]، والملاحظ على الخطاب الإسرائيلي أنه عندما أراد أن يشرعن عدوانه في طوفان الأقصى حاول أن عن القلسطينيين ثوب الإنسانية، وقد ظهر ذلك من خلال وصفهم على لسان كبار المسؤولين في الدولة بالحيوانات البشرية التي لا تستحق الحياة.

وقد اختصر لنا طه عبد الرحمن بعد التفصيل صور الإيذاء الإسرائيلي في الخطاطة التالية:

---

[16] - سورة الأحزاب : الآية 57.

[17] - سورة الإسراء: الآية 7.

[18] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 21- 35.

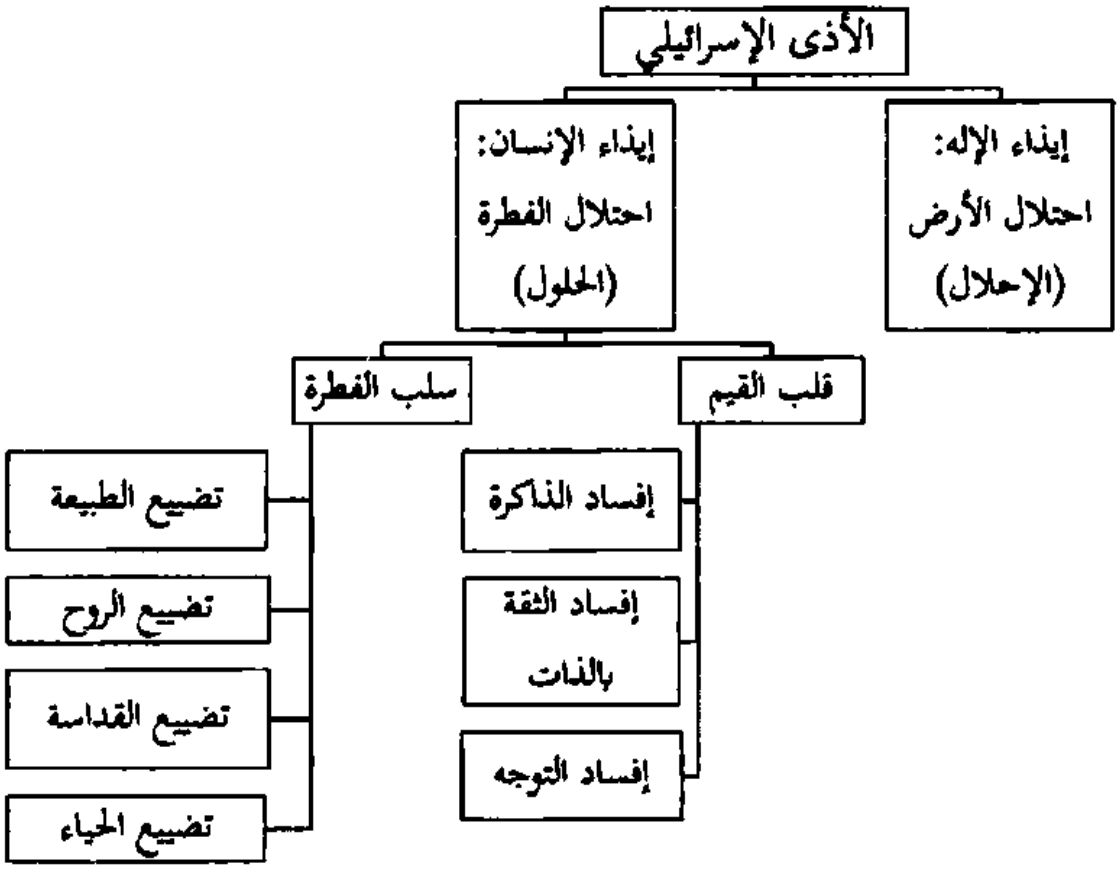

الشكل 1

ويبين بذلك طه عبد الرحمن الإجابة عن أهم سؤالين إئتمانيين، السؤال المتعلق بماهية إيذاء الإله والإجابة عنه إجمالا أنه من خلال الإحلال تكون منازعة الإله في صفة المالك الحق، أما إيذاء الإنسان فيقوم على الحلول ، أي إحتلال الفطرة من خلال قلب القيم وسلب الفطرة[19]. وعليه فإن التحليل الإئتماني للصراع يقدّم تصورا كليا بإمكان القارئ أن يرصد بعد ذلك تمظهراته الجزئية في الواقع، وذلك بالخصوص بعد الطوفان الذي أوضح بجلاء العديد من هذه التصورات الجزئية التي من الممكن ردها إلى تصورها كلية لفهمها واستيعابها.

جـ- المرابطة المقدسية ودفع الأذى الإسرائيلي :

يبيّن طه عبد الرحمن في مقدمة كتابه أن الكثير من أفكار الكتاب قد تبدو للوهلة الأولى أفكارا مثالية ولا غرابة في ذلك عنده على اعتبار أن النظرية الإئتمانية نظرية أخلاقية، ولكنه يميز في ذات الصدد بين نوعين من علم الأخلاق:

[19] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 35، 36.

- نظرية الأخلاق الوصفية: والتي تدرس الخطاب الاخلاقي وفق المنهج العلمي تركيبا وتداولا ودلالة.
- نظرية الأخلاق المعيارية : وهي التي تدل على ما ينفع وما يضر وما يسعد وما يشقي[20]، والنظرية الإئتمانية داخلة ضمن هذا النوع من علم الأخلاق لأنها تقدم حكما قيميا معياريا على هذا الصراع من جهة كما أنها تبحث عن السبل والآليات لمواجهة هذا الإيذاء الإسرائيلي الذي فيه محاربة للعباد ومخالفة لأمر رب العباد.

ومن هذا المنطلق فإن ثغور المرابطة ليس كتابا لتحليل الوقائع تحليلا ائتمانيا توصيفيا فحسب، وإنما هو عمل توجيهي يفصّل في الوسائل العملية التي تمكّن من التغلب على التحديات التي تسببت في هذه الوقائع، وينطلق من السؤال التالي: كيف ندفع الاحتلالين الاسرائيليين : " الإحلال بالأرض" و "الحلول بالفطرة"؟ ، ولا شك فإن هذا السؤال يعاد طرحه عند احتدام الصراع عسكريا، ولكنه يخبو ويخفت كلما خفت حدة الصراع العسكري، أما الصراع على مستوى السياسي والفكري فإنه باق على أشده في كل الأوقات وقد بيّن طوافان الأقصى هذه الحقيقة من خلال ردود الفعل الأولية على ما حدث في السابع من أكتوبر من خلال تصديق الدعاية الإسرائيلية التي صورت الأحداث على أنها عمل إرهابي يبرر كل ما تقوم به إسرائيل في سبيل ما تعتبره حق الدفاع عن النفس.

وعودا على بدء إلى سؤال طه عبد الرحمن فإنه يجيب عن هذا السؤال من خلال مبدأ إئتماني يسميه "المرابطة المقدسية" ويعرفها بأنها: " المقاومة التي تلازم ثغور الأرض المقدسة لتتصدى لتدنيسها، وتعيد إليها قداستها، وتلازم ثغور الفطرة المؤصلة للتتصدى لتزييفها وتعيد إليها أصالتها". [21] ويبيّن أن هذه المرابطة ليست فضاء ماديا فحسب بل هي بالدرجة الأولى فضاء معنوي، ومن خلال شبكة معقدة من الأفكار والتوجيهات يقدم طه عبد الرحمن تصورا عاما لهذه المرابطة، وكعادته في هذا الكتاب فإنه يختمه باختصار لشبكة المفاهيم التي يقدّمها من خلال الخطاطة التالية:

---

[20] - طه عبد الرحمن، المرجع نفسة، ص 36.

[21] - طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 37.

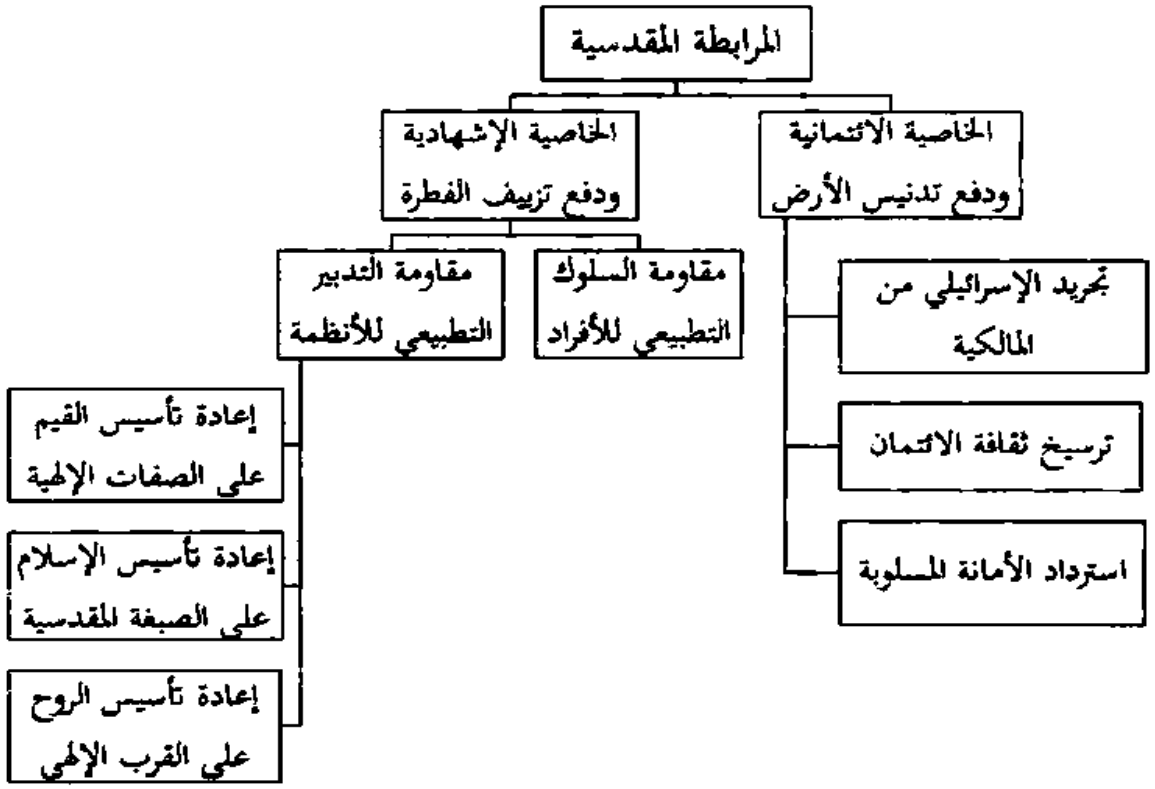

الشكل 2

وبذلك تكون المرابطة المقدسية وفق التصور الذي يقدّمه لنا طه عبد الرحمن ردا صورة الارض المحتلة إلى روحها وهي القداسة، ورد صورة الفطرة المحتلة إلى روحها وهي الأصالة، فتكون بذلك استرجاعا لقداسة الأرض التي دنّسها الاحتلال الاسرائيلين واسترجاع أصالة الفطرة التي زيّفها الحلول الاسرائيلين ، وكل هذه المعاني أعاد إحياءها طوفان الأقصى وقراءة طه عبد الرحمن لطوفان الأقصى ضمن وسائل الإعلام والصحافة[22] تؤكّد وعيا استشرافيا لحقيقة الصراع ومن خلال هذه التصريحات عاد طه عبد الرحمن إلى المصادقة على هذه الأفكار التي أقرها في كتابه هذا .

ثالثا: الرؤية الإئتمانية للمثقف المرابط في الصراعات الأمة:

[22] - انظر على سبيل المثال لا الحصر المقال الذي نشرته هيئة علماء فلسطين على موقعها تحت عنوان: طوفان الأقصى في منظور الفيلسوف والمفكر الإسلامي أ.د طه عبد الرحمن بتاريخ : 13 نوفمبر 2023 ، وهو في أصله حوار أجري مع طه عبد الرحمن من طرف الدكتور محمود النفار، والذي يؤكد من خلال ما جاء فيه القراءة الإئتمانية للطوفان عند طه عبد الرحمن ، رابط المقال:
https://palscholars.org/%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D8%B1/

يميز "طه عبد الرحمن" في كتابه ثغور المرابطة بين نوعين من الصراع ، الصراع الإسلامي الإسرائيلي الذي تحدث عن أبعاده في الفصل الأول، والصراع الإسلامي الإسلامي بين السعودية وإيران من خلال قوة الاستقطاب التي تميّز بها كلا النظامين في الآونة الأخيرة، وكان لها الصراع تداعياته في العالم العربي والإسلامي، وتسبب في عديد الأزمات بين الحكومات وفرض جملة من التوازنات، بل كان هذا الصراع عاملا مهما في التدخل الأمريكي في سياسات العالم العربي، وذريعة لإنشاء قواعد عسكرية في المنطقةن ومن خلال هذين الصراعين يبين لنا طه عبد الرحمن الدور الإئتماني للمثقف في الحد من هذا الصراع الإسلامي إسلامي.

1- الفقيه التعرفي والسياسي التعبدي في الصراع الإسلامي إسلامي :

ولا يعتبر "طه عبد الرحمن" هذا الصراع صراعا دينيا لأنه ليس نزاعا بين مجموع أهل الشيعة ومجموع أهل السنة كما يبدو للوهلة الأولى [23]، ولكنه يقدم ادلة وبراهين على أن هذا الصراع إنما هو صراع بين فئنة مخصوصة من أهل السنة ويسميهم المُحكّمة ، وفئة مخصوصة من أهل الشيعة ويسميها المتظلمة، ويبين أن هذا الصراع سياسي في الأصل ، وإن توسّل في بعض أطواره بالمعتقد والعرق والتاريخ ، خاصة ان هذا الصراع هو تنازع على زعامة العالم الغسلامي بين نظامين إسلاميين هما: النظام السعودي والنظام الإيراني، ولذلك فإنه يرى أن نعت هذا الصراع بالإسلامي أنسب من غيره[24]، ولعل هذا الفصل من الكتاب هو الاكثر إثارة للجدل لما فيه من جرأة في طرح أفكار لها حساسيتها في التصور الإسلامي عموما، ولأنه يقدم رؤى نقدية للنظام السعودي مما يثير حفيظة الكثير من المؤيدين لمواقفة من أهل السنة، ويقدم نقدا للمرجعية الدينية الإيرانية مما يثير حفيظة المؤيدين لإيران وسياساتها في المنطقة.

ويقدم طه عبد الرحمن حلا قائما على إعطاء الدواء المناسب للوضع في كلا النظامين السعودي والإيراني اللذان استخدما جملة من الوسائل لبسط نفوذهما في المنطقة، ولكن هذه الوسائل أحدثت خللا في بنية كل منهما، وهنا يأتي دور المثقفين لإصلاح هذا الخلل من الحل الإئتماني المتناسب مع متطلبات كل نموذج:

- الفقهاء الجدد في النظام السعودي ومهمتهم إصلاح النظام السعودي من خلال ما يسميه الفقه التعرفي في مقابل الفقه التقنني

---

[23] يقول الدكتور عبد المالك صولي: وإن من أسبابه -أي الصراع الشيعي السني – بقدر ما فيها من جوانب الحقيقة فإنها انتصار لمزاعم سياسية بغطاء ديني، بل اكثر من هذا أنه حتى هذه الاختلافات الدينية أغلبها مختلق لضمان استمرار المواجهة باعتبار أن الدين عامل من العوامل القوية الذي يكسب المواجهة قوة" (عبد المالك صاولي، الجذور التاريخية للصراع الشيعي السني، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، المجلد 7 ، العدد 14، 2018م، ص101.)

[24] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 13,

- السياسيون الجدد في النظام الإيراني ومهمتهم إصلاح النظام السياسي الإيراني من خلال ما يسميه بدور السياسي التعبدي في مقابل السياسي التحكمي[25].

وبذلك الحل يتلخص الحل الإئتماني في الفصل في النزاع بين النظامين من خلال تجاوز الصورة الشكل التعليمي للفقه التقني في السعودية، والشكل التدبير لسياسة التحكم في النظام الإيراني. ولقد أثبت طوفان الأقصى وجود جوانب قصور في هذين النموذجين وميزة الرؤية الإئتمانية لهذه الجوانب عند طه عبد الرحمن انها تجمع بين تشخيص المرض ووصف العلاج المناسب.

2- المثقف المرابط:

يغيب عن التصور المعاصر للمثقف ربط المثقف بالقيم الدينية، إذ إن صورة الإنسان المثقف غالبا ما ترتسم حول ذلك الشخص الذي يتحدث في الفلسفة والفن والتاريخ والحضارات، ولكن طه عبد الرحمن يقدّم صورة للمثقف المرتبط بالقيم الدينية والتي يجعلها بالأساس أساسا للقيم الإنسانية، ويقدم تصورا لهذا المثقف في مقابل المثقف المنسلخ ويفرق بينهما من خلال الخطاطة التالي:

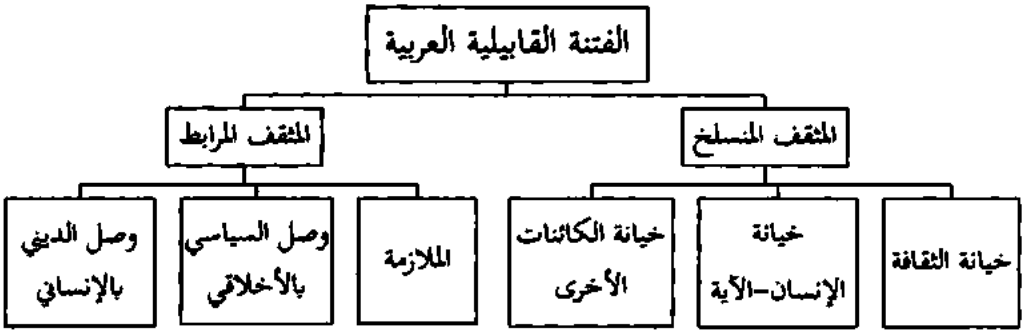

يقترب مفهوم المثقف المرابط عند طه عبد الرحمن من مفهوم المثقف العضوي عند أنطونيو غرامشي من حيث الفاعلية الإيجابية في الواقع[26] ولكنه يجعل من القيم الدينية المحرك الأساس لهذه الفاعلية في الواقع وفق المقاربة الإئتمانية التي تجعل

---

[25] - طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، ص 115.

[26] - المثقف العضوي عند غرامشي هو المثقف الذي لا يقف مكتوف الأيدي أمام الوضع القائم، بل يشارك في صياغة علاقة بين الواقع الاجتماعي والوعي الجمعي للطبقات المهمشة، ويعمل على بناء "كتلة تاريخية" جديدة من خلال مقاومة الهيمنة البرجوازية وتقديم تصور جديد للعالم .هو المثقف الذي يخرج من نطاق الفكر المجرد ليمارس دوراً فعالاً في بناء علاقات قوة جديدة من خلال الحزب الثوري، ويساهم في "حرب الخنادق" الأيديولوجية ضد النظام القديم. (انظر : بوصبوعة إيمان، المثقف وتحديات التغيير، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد: 14، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2018م).

من الدين وقودا لأن يتحرك المثقف لنصرة القضية، وقد صادقت ماجريات طوفان الأقصى على هذه الحقيقة فكم من مثقف تحمّل أمانة النصرة لجانب الحق في هذا الصراع، وفي المقابل كم من مثقف وقف مع الباطل بالتبرير له أو الاصطفاف معه أو حتى بالسكوت عنه.

خاتمة :

وفي ختام هذا البحث يمكن أن نجمل نتائجه في النقاط التالية:

- تؤكد المقاربة الإئتمانية لقضية فلسطين وطوفان الأقصى عند طه عبد الرحمن على أهمية حضور التحليل الفلسفي لمشهد الطوفان ووقائعه، وتؤكد أنه التحليل الأولى بالاعتبار والتقديم على التحليل السياسي، ويقوم التحليل الفلسفي عنده لمشهد الصراع العربي الإسرائيلي على التأمل الفلسفي وفق مقاربة خاصة به تسمى المقاربة الإئتمانية.
- يمثل طه عبد الرحمن نموذجا للمثقف العضوي الذي يتفاعل مع قضايا أمته من دون مداهنة وتردد، ويبدو هذا واضحا وجليا في كل كتاباته خاصة فيما تعلّق بالقضايا الكلية التي ترتبط بحاضر العالم الإسلامي أو تراثه وتاريخه، وهو ما يمكن عده أحد أسباب الجذب والاستقطاب الذي تتميز بها كتاباته للنخب المثقفة في العالم العربي والإسلامي.
- مفهوم المرابطة لا تخرج عن المفهوم الإسلامي الأصيل لها وهو ملازمة الثغر استشعارا للمسؤولية الشرعية التي يتحملها الإنسان وفقا لمقتضى الأمانة، كما أن فكرة الائتمانية التي اعتمدها طه عبد الرحمن المقاربة الأساسية لتحليله الفلسفي تعد مقاربة أصيلة طبعت العديد من أعماله السابقة واللاحقة.
- يعيد طه عبد الرحمن صياغة مفهوم للإئتمانية بما يتناسب مع استعماله لها في كل مرة، ويعرفها في سياق صراعات الأمة الحالية بأنها: عبارة عن نظرية أخلاقية تتأسس على حقائق الإنسان التي اشتركت فيها الأديان وتوارثتها الحضارات، سواء أقرت هذه الحضارات بأصولها الدينية أو أنكرت هذه الأصول.
- تؤكد القراءة الإئتمانية عند طه عبد الرحمن أن هذا الصراع لا بد أن يسمى صراعا إسلاميا إسرائيليا ، ذلك أنصفة العربي تخرج من هذا الصراع غير العرب من المسلمين وفي هذا تجن عليهم، فهم ينكرون أعمال الاحتلال والاستيطان لا بقصد مساندتهم للعرب في المطالبة بأرضهم فحسب، بل أيضا بقصد التعبير عن نسبة هذه الأرض المقدسة إليهم.
- تجيب المقاربة الإئتمانية عن السؤال المتعلق بماهية إيذاء الإله والإجابة عنه إجمالا أنه من خلال الاستيطان الإحلالي للأرض وبه تكون منازعة الإله في صفة المالك الحق، أما إيذاء الإنسان فيقوم على الحلول ، أي إحتلال الفطرة من خلال قلب القيم وسلب الفطرة التي تقوم عليها الأجندة الصهيونية في العالم.
- إن كتاب ثغور المرابطة لمؤلفه طه عبد الرحمن ليس كتابا لتحليل الوقائع تحليلا ائتمانيا توصيفيا فحسب، وإنما هو عمل توجيهي يفصّل في الوسائل العملية التي تمكّن من التغلب على التحديات التي تسببت في هذه الوقائع، لذلك سلك فيه صاحبه مسلكا توجيهيا ضمن نظرية الأخلاق المعيارية، ومن أبرز التوجيهات العملية التي أصل لها نجد فكرة

المرابطة المقدسي، والتي من خلالها ردا صورة الارض المحتلة إلى روحها وهي القداسة، ورد صورة الفطرة المحتلة إلى روحها وهي الأصالة .

- يبين طه عبد الرحمن الحل الإئتماني للصراع الإسلامي بين السعودية وإيران في سبيل الهيمنة على المنطقة العربية وذلك من خلال دور المثقفين في كلا البلدين من خلال الفقه التعرفي الذي هو سبيل الإصلاح للنظام السعودي، ونموذج السياسي التعبدي الذي هو سبيل الإصلاح للنظام الإيرانين ويسمي المثقف القائم بهذا الدور المثقف المرابط في مقابل المثقف المنسلخ.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم

1- إيمان بوصبوعة، المثقف وتحديات التغيير، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد: 14، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2018م.

2- بريجر بيدرو: الصراع العربي الإسرائيلي مئة سؤال وجواب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2014.

3- بيندا جوليان ، خيانة المثقفين، دار ابن النديم للنشروالتوزيع، ط1، وهران، الجزائر، 2020م.

4- بيود محمد علي، الأربعون في ثغور المرابطة ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، من رواية يحي الغوثاني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، اسطنبول، تركيا، 2024م.

5- سعيد إدوارد ، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2005م.

6- شوكري المصطفى، غروب دور المثقف وشروق الاستلاب الرقمي سوسيولوجيا التحولات من التفاعل الاجتماعي الحر إلى الهيمنة الخوارزمية، مجلة الباحث للراسات، الرباط، المغرب، أوت 2025م،

7- صاولي عبد المالك، الجذور التاريخية للصراع الشيعي السني، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، المجلد 7 ، العدد 14، 2018م..

8- عبد الرحمن طه ، ثغور المرابطة (مقاربة إئتمانية لصراعات الأمة الحالية)، مركز مغارب، ط1، الرباط، المغرب، 2018م، ص 11.

9- عبد الرحمن طه، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الإئتمانية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2012م.

10- المسيري عبد الوهاب، مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003م.

11- موقع هيئة علماء فلسطين ، طوفان الأقصى في منظور الفيلسوف والمفكر الإسلامي أ.د طه عبد الرحمن بتاريخ : 13 نوفمبر 2023 ، رابط المقال:
https://palscholars.org/%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%B3%D9%88%D9%81-/%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D9%83